

أضواء البيان

@ 332 تعالى : { إِنَّ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُولَ فَحَقَّ عِقَابٌ } . وقوله تعالى { كُلٌّ كَذَّبَ الرَّسُولَ فَحَقَّ وَعِيدٌ } والآيات بمثل ذلك كثيرة . .

وقد بين تعالى أن المراد بذكر إهلاك الأمم الماضية بسبب الكفر وتكذيب الرسل تهديد كفار مكة ، وتخويفهم من أن ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك إن تمادوا على الكفر وتكذيبه صلى الله عليه وسلم . .

ذكر تعالى ذلك في آيات كثيرة كقوله تعالى : { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلَّهِ كَافِرِينَ } لأن قوله تعالى : { وَلِلَّهِ كَافِرِينَ } أمثالها { تهديد عظيم بذلك . .

وقوله تعالى : { جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ مِّن دُخَانٍ مَّسْوُومَةٍ عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٍ } فقوله : وما هي من الظالمين ببعيد فيه تهديد عظيم لمن يعمل عمل قوم لوط من الكفر وتكذيب نبيهم ، وفواحشهم المعروفة ، وقد وبخ تعالى من لم يعتبر بهم ، ولم يحذر أن ينزل به مثل ما نزل بهم ، كقوله في قوم لوط : { وَإِنَّكُمْ لَسَّاتُمْ رُؤُوسَ عَلَيْهِمْ } مَّصْبِحِينَ وَبِالْأَيْدِي أَفْلَا تَعْقِلُونَ } وقوله تعالى : { وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمُطِرَتْ مَطَرًا سَوَاءً أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَ أَنَّهَا بَلَدٌ كَانُوا لَا يَرَوْنَ نَشُورًا } . وقوله فيهم : { وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا مِّنْهُنَّ آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } . وقوله فيهم : { وَإِنَّ نَازِلَهَا لِغَسَّادٍ مَّكِينٍ } . وقوله فيهم وفي قوم شعيب { وَإِنَّ نَازِلَهَا لِغَسَّادٍ مَّكِينٍ } والآيات بمثل ذلك كثيرة . .

وأما المسألة الثانية : وهي نداؤهم إذا أحسوا بأوائل العذاب فقد ذكر تعالى في آيات من كتابه نوعين من أنواع ذلك النداء . .

أحدهما : نداؤهم باعترافهم أنهم كانوا ظالمين ، وذلك في قوله تعالى : { وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَلَمَّا أَحَسُّوا بِأَسَاسِنَا إِذَا هُمْ مِّنْهَا يَرْكُضُونَ } إلى قوله { قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ } وقوله تعالى : { وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ } وقوله تعالى : { وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ } .

أَهْلَ كُنَاهَا فَجَاءَهَا بِأُسْنَدَا بَيِّنَاتٍ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ فَمَا كَانَ
دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأُسْنَدًا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ { .

الثاني : من نوعي النداء المذكور نداؤهم بالإيمان بالله مستغيثين من ذلك العذاب